الشراكة الثلاثية الصين روسيا كوريا الشمالية

(مجلة آفاق مستقبلية، مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار، ع5، يناير 2025)

د. نـورهان الشيـخ

أدت الأزمـة الأوكرانيـة وتطوراتهـا إلـى طفرات ملحوظـة فـى الشراكة بين روسيا وكل من الصين وكوريا الشمالية، وبروز مثلث استراتيجى يتجاوز فى تأثيره وتداعياته منطقة شرق آسيا، وينطلق إلـى آفاق أرحب بالنظر إلـى عمق المصـالح المشتركة التـى تجمـع الـدول الثلاث علـى المسـتوى الثنـائى والثلاثـى، وخطـورة التحـديات التـى تواجههـا معـاً وتضـعهم فـى خنـدق واحـد استراتيجياً واقتصادياً.

فقد اصبحت الشراكة الروسية الصينية "بـلا حدود" كمـا أعلن البلدان فى فبراير 2022، ووصلت فعلياً مستوى التحالف الاستراتيجى. وكانت روسيا قبلة الرئيس شى جين بينج الأولى فى مستهل فترة ولايته الثالثة، وكذلك كانت الصين عقب إعادة انتخاب الرئيس بوتين، وكشفت قمة بكين فـى مـايو 2024 عن عمـق التعـاون الاستراتيجى بـين البلـدين ومـا ينتظرهـا مـن تقدم فـى المستقبل.

كذلك مثلت زيارة الرئيس بوتين لكوريا الشمالية فى يونيو 2024 اختراقاً واضـحاً وإنعطافة هامة وكاشفة للمستوى الذى وصلت إلية العلاقات بين البلدين، والأهم مستقبل هذا التعاون، ليس فقط لكونها الأولـى منذ ربـع قرن، وإنما والأهم الإعلان خلالها عن التعاون الحالى والمستقبلى. فقد كانت كوريا الشمالية دوماً من حلفاء موسكو التقليديين منذ الزمن السوفيتى، وشاركت روسيا ضـمن سداسية المفاوضـات حـول البرنـامج النـووى لكوريـا الشـمالية التـى قادتهـا واشـنطن خـلال التسعينات، إلا إن تعاونها مـع كوريـا الشمالية ظل غير معلن إلـى حد بعيد، ولم يتجاوز السياق الدولى العام الذى رسمته الولايات المتحدة وحلفائها عبر العقوبات حتى الأزمـة الأوكرانيـة. وذلك خلافاً للصـين التـى تعتبـر الحليـف الأبـرز لكوريـا الشمالية منذ الحـرب الكوريـة فـى الخمسينات، والشـريان الأساسـى الـذى يـربط كوريـا الشـمالية بالعـالم ويـدعم اقتصـادها فـى مواجهـة العقوبـات الخانقة المفروضة عليها.

فى هذا السياق، تتقدم الشراكة الثلاثية بين بكين وموسكو وبيونج يانج بثبات علـى قدمين أساسيين، هما الشراكة الدفاعية، والشراكة الاقتصادية.

(1) الشراكة الدفاعية لمواجهة التهديدات المشتركة:

تعتبر الدول الثلاث، الصين وروسيا وكوريا الشمالية، أن سلسلة التحالفات العسكرية التى تقودها واشنطن فى آسيا تهديداً مباشراً لأمنها القومى وللأمن والاستقرار الإقليمى والدولى. فقد دشنت الولايات المتحدة تحالف "أوكوس" مع أستراليا وبريطانيا فى 15 سبتمبر 2021، وبمقتضاه تشارك واشنطن تكنولوجيات نووية عسكرية مع استراليا عبر تزويدها بغواصات نووية أمريكية ووقود نووى للغواصات ذات نسبة تخصيب 90%، لأول مرة منذ نصف قرن، بعد أن شاركتها في السابق مع بريطانيا فقط عام 1958، ولتصبح استراليا بذلك بين خمس دول في العالم تتمتع بمثل هذه القدرات العسكرية. وخلال قمة "أوكوس" يوم 13 مارس 2023 أعلن قادة الدول الثلاث تعاونهم لبناء جيل جديد من الغواصات سيحمل اسم "إس إس إن–أوكوس" تعمل بالدفع النووي، وحصول أستراليا على خمس غواصات أمريكية من طراز "فيرجينيا" التى تعمل بالطاقة النووية، إلى جانب التعاون لتطوير أسلحة تفوق سرعتها سرعة الصوت، ووسائل الحماية ضدها.

الأمر الذى اعتبرته بكين وموسكو يقوض من نظام الحد من الانتشار النووى الذى تطور واستقر على مدى عقود، ويتعارض مع التزامات أستراليا بموجب اتفاقية الضمانات مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية والملحق الإضافي الخاص بها، وأن التحالف الأنجلوساكسوني على هذا النحو يمثل تهديد مباشر لهما وللتوازن فى المنطقة كون الغواصات الأمريكية في المياه الإقليمية الأسترالية تعد ذراعاً غربياً طويلاً يطال ليس فقط الصين وإنما كوريا الشمالية وروسيا، قادرة على تدمير قطاع جوي على بعد عدة آلاف من الكيلومترات، كما إنها أكثر قدرة على التخفى والتنقل تحت مياه البحر بحرية وسرعة أكبر.

من ناحية أخرى، قامت واشنطن بالارتقاء بالحوار الرباعى "كواد" ليعقد على مستوى القمة، وهو تحالف استراتيجي غير رسمي أقيم في 2007 يضم الولايات المتحدة وأستراليا والهند واليابان، وأعيد إحياؤه في 2017 بهدف التصدي الأمريكى لنفوذ الصين العسكري والاقتصادي والتكنولوجي المتنامي في منطقة آسيا والمحيط الهادئ. كما اتجهت واشنطن لتعزيز تعاونها العسكرى مع اليابان وكوريا الجنوبية وعقدت أول قمة ثلاثية في أغسطس 2023 بكامب ديفيد معلنة "التزام للتشاور" وتعاون ثلاثي أعمق مع إعطائه المزيد من الطابع المؤسساتي.

فى هذا السياق، اعتبرت الصين وروسيا وكوريا الشمالية أن أوكوس نواة حلف جديد فى شرق آسيا تقوده واشنطن على غرار حلف شمال الأطلسى (الناتو)، وأن بناء منظومة تحالفات مضادة لتلك الأمريكية ضرورة وأولوية ملحة، كما إن تشبيك التحالفات القائمة على أساس ثنائى أمر حيوي ليس فقط لردع واشنطن ولكن إستعداداً لأى مواجهة مستقبلية محتملة، فى وقت تلوح فى الأفق واحدة من أخطر المواجهات العالمية حول تايوان.

وتعتبر سلسلة المناورات والتدريبات المشتركة بين الصين وروسيا فى شرق آسيا رسالة هامة على حضورهما القوى فى المنطقة، وتحاولان تحجيم النفوذ الأمريكى وتطويقه عبر تمددهما العسكرى فى المنطقة، وإبراز قدراتهما العسكرية الضخمة براً وجواً وبحراً. كما قدمت بكين دعماً تكنولوجياً غير معلن لروسيا مما مكن الأخيرة من تجاوز الخناق التكنولوجى الغربى المفروض عليها بشكل متزايد منذ عام 2014.

وفى الإطار ذاته تم توقيع "معاهدة الشراكة الاستراتيجية الشاملة" بين روسيا وكوريا الشمالية خلال زيارة الرئيس بوتين لبيونج يانج فى 19 يونيو 2024، وتعتبر تحالف دفاعى بين البلدين حيث تنص المادة الرابعة من الاتفاقية على الدعم العسكري المتبادل حال تعرض أي من الطرفين للعدوان. وبدأ وصول قوات من كوريا الشمالية فيما يعرف بـ "كتيبة K" فى إطار التعاون والدعم المشترك إلى روسيا، إلى جانب وجود طواقم بناء تابعة للقوات المسلحة الكورية الشمالية تعمل في الدونباس. كما قامت كوريا بتزويد روسيا بقذائف المدفعية الكورية عيار 122 ملم و152 ملم، وصواريخ مضادة للدبابات من طراز " "Bulsae-4، وصواريخ باليستية قصيرة المدى (هواسونج-11 / KN-23) نظراً لضغوطات جبهة الدونباس على روسيا. ويمتد التعاون بين البلدين إلى المجال النووى والفضاء الأمر الذى يدعم قدرات كوريا الشمالية ويؤثر من ثم على توازنات القوى بالمنطقة. وتحظى الشراكة الاستراتيجية بين روسيا وكوريا الشمالية بمباركة من جانب الصين، ولم تكن متصورة دون ترحيب بكين. وترتبط الصين وكوريا الشمالية بمعاهدة تعاون ومساعدة متبادلة، وحدود مشتركة بطول 1146 كيلومتراً، وبينهما تعاون عسكري وأمني وثيق. وقد شبه الزعيم الصيني ماو تسي تونج العلاقة بين البلدين ، بأنهما قريبتان مثل "الشفاه والأسنان".

(2) القاعدة الصلبة من المصالح المتبادلة والشراكة الاقتصادية:

تواجه الدول الثلاث عقوبات اقتصادية بدرجات متفاوتة تتراوح من العزلة التامة فى الحالة الكورية إلى التضييق فى الحالة الروسية ووضع العراقيل فى الحالة الصينية، الأمر الذى دفع الدول الثلاث إلى التعاون واعتبار بعضها فضاء اقتصادى ومتنفس فى مواجهة الضغوطات الغربية.

فى هذا الاطار، يشهد التعاون الاستراتيجى فى بعده الاقتصادى قفزة ملحوظة بين الصين وروسيا فى ضوء التكامل الهيكلى بين اقتصاد البلدين لاسيما فى قطاع الطاقة بحكم كون روسيا مصدر عملاق للطاقة فى حين تعتبر الصين أكبر مستورد لها. وقد نما التبادل التجارى بينهما بإطراد وبلغ 240 مليار دولار عام 2024، وتعتبر بكين شريك روسيا التجاري الرئيسي على

مدار 13 عاما الأخيرة، وصعدت روسيا إلى المركز الرابع في ترتيب الشركاء التجاريين للصين عام 2023، ويعود ذلك إلى الطفرة التى شهدها التعاون فى مجال الطاقة حيث أصبحت الصين منذ عام 2022 أكبر مستورد للطاقة الروسية. فروسيا أكبر مورد للنفط للصين بحصة بلغت 19% من إجمالى الواردات الصينية (107.02 مليون طن) عام 2023، وتعتبر الصين أكبر مستورد للغاز الروسي وهناك آفاق رحبة لتدفق الغاز بينهما مع اتمام أنبوب قوة سيبيريا 2 المقرر فى 2030، وقد تم إطلاق خط "قوة سيبيريا 1" فى 2 ديسمبر 2019، وبلغت الإمدادات عبره نحو 22.73 مليار متر مكعب عام 2023. كما يقوم مشروع "سخالين 2" بدور مهم في توريد الغاز الطبيعي المسال والنفط إلى السوق الصينية.

هذا إلى جانب التعاون فى المجال النووي ويتضمن مشاريع قائمة على التكنولوجيا المتطورة لا نظير لها في الصناعة النووية العالمية، ليؤكد البلدان قيادتهما فى المجال، منها قيام شركة "روس أتوم" الروسية للطاقة النووية ببناء أربع مفاعلات نووية في الصين تبلغ قدرة كل منها 1200 ميجاوات، اثنان منها في محطة تينوان النووية، واثنان في محطة شوداباو. كذلك التعاون فى مجال الفضاء حيث تقدم روسيا معدات لمولدات كهرباء حرارية تستخدم في برنامج الفضاء الصيني المخصص لاستكشاف القمر، واتفقت شركة "روس كوسموس" الروسية مع إدارة الفضاء الوطنية الصينية على توسيع مشاريعهما المشتركة في مجال استكشاف القمر. على صعيد أخر، تشهد الاستثمارات المشتركة نمواً ملحوظاً ويتم تنفيذ أكثر من 30 مشروع مشترك فى المجالات المختلفة بعضها فى الأقاليم الروسية ومنها الشرق الأقصى الروسى الذى يمثل فضاء رحباً للتعاون والاستثمار المشترك بين البلدين. ويتم تشبيك الإتحاد الإقتصادي الأوراسي الذى تقوده روسيا ومشروع الحزام والطريق الذى تقوده الصين، واستخدام العملات الوطنية، الروبل واليوان، فى التعاملات بينهما وعبر البنوك المشتركة، وإنشاء ممر للنقل يتضمن خطوط برية وبحرية لتسهيل التنقل بين البلدين، وتطوير البنى التحتية الحدودية بينهما.

من ناحية أخرى، تعتبر الصين هى رئة الاقتصاد الكورى الشمالى وتكاد تكون الشريك التجارى الوحيد لها حيث تستحوذ على أكثر من 96.7% من إجمالي حجم تجارة بيونج يانج عام 2023. وتعتبر روسيا شريك واعد سيسهم بفاعلية فى تنشيط الاقتصاد الكورى الشمالى حيث ارتفع معدل التجارة المتبادلة بين البلدين تسع مرات عام 2023. وسمحت موسكو بالإفراج عن ملايين الدولارات من الأصول الكورية الشمالية المجمدة، وتساعد بيونج يانج على الوصول إلى الشبكات المصرفية الدولية وكسر عزلتها فى هذا المجال. وساهمت العوائد المالية التي تجنيها كوريا الشمالية من التعاون العسكرى مع روسيا اعلى حل بعض مشاكلها الاقتصادية، إضافة إلى الإمدادات الغذائية والنفطية الروسية التي تتلقاها. وخلال زيارة الرئيس بوتين الأخيرة

تمت الموافقة على مشروع إنشاء جسر يعبر فوق نهر تومين ويربط البلدين برياً مما يسهل حركة التجارة والانتقال، خاصة مع طرح ابرام اتفاقية للتجارة الحرة بينهما، وتبلغ حدودهما المشتركة 39.4 كيلومترا فقط وترتبط الدولتان عن طريق الجو وجسر الصداقة للسكك الحديدية. كما تشكل كل من الصين وروسيا أكثر الدول استقطاباً للعمالة من كوريا الشمالية، ويعمل 50 ألف كوري شمالي في الخارج، بتحويلات مالية تتراوح بين 1.2 و2.3 مليار دولار سنوياً.

إن الإنعطافة الروسية باتجاه كوريا الشمالية والقفزة فى الشراكة الاستراتيجية مع الصين فرضتها المصالح الوطنية ومقتضيات الأمن القومى الروسى، وهى ليست من قبيل التحركات التكتيكية قصيرة المدى، وإنما توجه استراتيجى مستقر تتجاوز تداعياته الأزمة الأوكرانية ومنطقة شرق آسيا.